

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[435] وهناك من ينفقه في سبيل أهوائه وملذاته. ليس أي واحد من هذه الأمور - دون شك - يمكن أن يكون ثمنًا لتلك الثروة العظيمة... ثروة العمر... ثمنها الوحيد رضا الله سبحانه ومقام قربه لا غير. قال أمير المؤمنين عليه السلام: "إنَّه ليس لأنفسكم ثمن إلاَّ الجنة فلا تبيعوها إلاَّ بها"(1). وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في دعاء شهر رجب: "خاب الوافدون على غيرك وخسر المتعرضون إلاَّ لك". ومن هنا كان أحد أسماء يوم القيامة "يوم التغابن" كما جاء في قوله سبحانه: (ذلك يوم التغابن)(2). أي ذلك اليوم الذي يظهر من هو المغبون والخاسر. إنَّه لتنظيم رائع في علاقة العبد بربه. فهو سبحانه من جهة يشتري رأس مال وجود الإنسان: (إنَّ الله اشترى من المؤمنين...) (3). ومن جهة أخرى يشتري سبحانه رأس المال القليل: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) (4). ومن جانب آخر يدفع مقابل ذلك ثمنًا عظيمًا يبلغ أحيانًا عشرة أضعاف وأحيانًا سبعمائة ضعف، وأحيانًا أكثر: (في كلِّ سنبله مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء) (5). وكما ورد في الدعاء: "يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير". ومن جهة رابعة، فإنَّ كلَّ رؤوس أموال الإنسان وثرواته قد وهبها الله إيَّاه... والله بفضلِه ومنَّه ولطفه يعود ليشتري هذه الثروات نفسها بأعلى الأثمان! * * * 1 - المصدر السابق، الكلمة 456. 2 - التغابن، الآية 9. 3 - التوبة، الآية 111. 4 - الزلزال، الآية 7. 5 - البقرة، الآية 261.